السيميائيات بين قيمة المعرفة وفن الاستدلال

عبد المجيد جرادات
كاتب أردني.

ترتكز هذه الدراسة على تحليل البعد المعرفي في مفهوم العلامة، وما تمثله من نسق ودلالات، وتلازم طبيعي بين اللفظ الذي يُعبّر عن حقيقة الشيء، والمعنى الذي يعرف على أنه الصورة التي تستقر في ذهن السامع بعد تفاعله مع الحدث أو قراءته للنص.

يُستدل من قراءة أدق المراجع، أن تاريخ السيمانية يعود إلى ألفي سنة مضت، وأن العلامة هي كل أنواع السيمانيات، أي ليس العلامة اللغوية فقـط، فهنـالك علامات منتشرة في مختلف مناحي الحياة، ولهذا، فـإن انتظام العلامات في شبكة علائقية متجانسة، يؤدي إلى وجود الدلالة بسـياقها اللغـوي أو الشكلي، ومن هنا برزت الحاجة إلى ما اتفق على تسميته بعلم العلامات.

أصبحت الدلالة، طريقة العالم المعاصر في التفكير، ذلك لأنها تمثل القدرة على استبدال الكلمات بالأشـياء، ومع تطور المفاهيم واختلافها، تجلى السلوك السيماني، الذي يوظف قدرات الإنسان في ميدان الممارسة المعرفية، لـيكون الاتصال الذي يحقق الدلالة في بدايات القرن العشرين، اهتم الغرب بالأدوات البحثية والمناهج النظرية للسيمانية بنشأتها الحديثة، وقد تم وصف العلامة على أنها نقطة الارتكاز التـي ينبني عليها تعريف كل عنصر على حدة، وهي أيضاً المبدأ الذي يحكم تفسير مجموعات العناصر، سواء كانت هذه المجموعات مجردة أو ملموسة.

المقدمة

يُشكلُ التراث العربي الإسلامي بشموليته الحضارية، مخزوناً معرفياً وثقافياً، يظهر في صورة نظام من العلامات الدالة، وتتحقق سيمائية هذا النظام في إطاره التاريخي والثقافي المتجانس على النحو التالي:

1. الموروث اللساني: النحوي واللغوي والمعجمي.
2. البلاغة ومنهجية النقد.
3. الموروث الفلسفي.
4. علم الأصول والتفسير في الدين.
5. الموروث الاجتماعي، والذي يتفق خبراء العلوم الاجتماعية على أن ابن خلدون يُمثله دون سواه.

عندما نتتبع التطور المرحلي للدراسة السيمائية في الفكر الإنساني المعاصر، نجد أن مناقشة " العلامة" ليس بالأمر السهل من حيث هي كيان نفسي وثقافي وحضاري بشكل عام، والسبب بطبيعة الحال هو أنها تمثل الخطاب الذي يهدف لتحقيق عملية الإبلاغ والتوصيل(1).

من الواضح أن دراسة نظام العلامات قديم قدم الحياة نفسها، لكن واقع التجدد في حياة الشعوب والأمم أدى لوجود الاختلاف أو التباين، الأمر الذي أبقى على الأفكار السيمائية القديمة مثل اليونانية والعربية في إطار التجربة الذاتية، ولم تدخل في حيّز التطبيق العلمي الموضوعي(2).

يستند إنتاج المعرفة في وسائل الاتصال على الاعتبارات اللغوية وتمثلاتها في المناهج المعرفية والخصوصيات اللغوية والثقافية، وهذا يستدعي العناية بالموروث اللغوي والمصطلح والترجمة، بالإضافة إلى مستويات التشكل اللغوي في المستويات الصوتية والصرفية والدلالية.

تقوم المنهجيات اللسانية على إمكانات استثمار النحو والنظم والكلمات،في إنتاج السياقات النصية ، أو ما أسماه ياكبسون في كتابه قضايا الشعرية ، إسقاط محور التأليف على محور الاختيار، ويتم تحليل الانحراف أو الانزياح والاختيار،حسب جان كوهن ، وتطرح أهم الاعتبارات اللغوية في بعدها الاتصالي والإعلامي، مثل تقدير العناصر الصوتية والصرفية والأشكال الدلالية في علاقات تركيبها وتنظيمها، ولا بد في هذا السياق من مراعاة

العناية بالتشكل التداولي لما له من أهمية في القياس بين الدلالي والاتصالي، وكل هذا من أجل ضمان المصداقية، واستقراء المنطق، وبناء المفاهيم ونشدان المعرفة ثم إنتاجها.

يهتم خبراء الإعلام بضرورة الربط بين محتوى الخطاب الإعلامي والإنتاج المعرفي، وهذا ما يقّوي مكانة اللغة العربية في المحافل الدولية، ويمنحها القدرة في مداها الاتصالي والتداولي، ولهذا يعنى المشتغلون بالمناهج المعرفية بمحتواها العلمي والنظري والنقدي والبحثي، ومن تحصيل الحاصل أنه لا ُيمكن الفصل بين الفكر العربي ولغته، لأن الفكر لا ينفصل عن اللغة، واللغة هي السبيل الأقرب لإظهار عناصر التمثيل الثقافي في كل معرفة بمختلف تجلياتها.

في مجمل الأحوال، فإن التمكن من الأداء اللغوي في المستويات الظاهرة والماورائية، ُيعطي أدق البراهين على مفهوم الاستدلالية، ويحول دون تعقيد التشابكات أو التداخلات اللغوية، ثم ُيمهد إلى صدور المعنى وما وراء المعنى.

العلامة بين الصورة المعبّرة وبلاغة اللغة

تحت عنوان (كلام الصورة) وثّق الشاعر يوسف أبو لوز قبل أعوام، مشهدًا فيه رجل قرر أن يخلد إلى النوم في الهواء الطلق بعد أن ربط حصانه في جذع شجرة على مقربة منه، وترك ابنه الصغير يلهو من حوله، وقد بدأت ملامح المشهد على النحو التالي:

الطفل يرتدي ملابس رثة وممزقة، وهو ُيمارس براءته في الطبيعة، وبعينين فيهما من التحدي ما يشير إلى أنه لا يأبه بالمجهول، وبالنسبة للحصان، فهو ُيمعن النظر بصاحبه، وللمشاهد أن يقرأ أكثر من علامة في محياه: أما الرجل، فقد ظهر عليه التعب ربما بعد أن أعياه السفر، أو ضاقت به الأحوال، عندها تجلت عبقرية الشاعر أبو لوز، فخاطب الرجل قائلاً:

نم.. نومة الذئب... حتى وان كان بردك قارسًا
ولا تشكو الحياة ..إذا شدت عليك الأيام
واحرص على حصانك ..... فإن الخيول
لا تغادر الأرض ما دام في الأرض فارس

عندما تتسم الصورة بالموضوعية، وتستوفي شروط الإبداع، فإن عنصر البلاغة فيها يرقى إلى إيصال المعنى المنشود، وبحكم تعدد وسائل الاتصال المرئي والمقروء والمنطوق، فإن محاولة الربط بين العلامة اللغوية والرسالة البصرية، تكون موضع الاهتمام وجديرة بالمناقشة والتفسير.

في ميادين استخدام الصورة، ُيعد التلفزيون من أكثر وسائل الاتصال شعبية، إذ ارتبطت عملية انتشاره كوسيلة اتصال بالتقدم التكنولوجي، وهو يتميّز عن السينما بالتكلفة والبساطة وصغر الحجم، ويُعرف جهاز التلفزيون الذي يبث بالصوت والصورة بتأثيره الواقعي

وسهولة تفاعل المشاهد مع الحدث واستقراره في الذاكرة من خلال السمع والبصر، ذلك لأن المتلقي يعيش مع التفاصيل ويتفاعل نفسياً وعاطفياً بحدود علاقته المباشرة بما تحمله الصورة من علامات أو مدلولات.

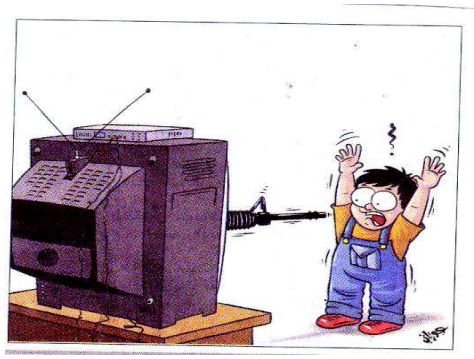

عندما توجه الصورة بشكل لا يرأف بعالم الطفولة

تتميّز الصورة الفوتوغرافية حسب (رولان بارث) (4)، بكونها ذات استقلالية بنيوية، تتشكل من عناصر منتقاة ومعالجة وفق المتطلبات المهنية والجمالية، والأيديولوجية، حيث تضيف لها بعداً تضمينياً، لتصل للمتلقي، الذي يكتفي بفهمها، وقد ُيعيد التفكير بقراءتها بقدر ما يمتلك من مخزون الثقافة، ومن المعروف أن الصورة ارتبطت على مر العصور بالتطور الحضاري، والذي يعنينا هنا هو أن مساءلة الصورة الفوتوغرافية، تهدف لاستخراج التمثلات الذهنية، والتي تتحكم في العادة بالسلوكيات اليومية للإنسان وفي مجموعة القيم التي ينتجها.

الصورة هي لغة واصفة، ومن هذا المنظور، تصبح اللغة نسقاً واصفاً تعمل بنياته التركيبية والدلالية على تغيير بنيات اللغة الفوتوغرافية، والنتيجة هي أن كل وصف هو إيحاء، وكل إيحاء هو لغة واصفة والعكس صحيح، ومن هذا المنطق، ُيمكن طرح قضية الدال والمدلول في الرسالة البصرية، وكيفية تحول المرجع الفوتوغرافي من الحياد والصمت إلى علامة، وإلى نص ُيحقق المعنى، ُويظهر بلاغة اللغة.

فيما يتعلق بالعلامة اللغوية، فهي من وجهة نظر خبراء اللسانيات، عبارة عن مستودع من العلامات، ومن المتفق عليه أن العلامة تشكل وحدة أساسية في عملية الاتصال والتواصل بين بني البشر، وهي تضم جانبين أساسيين هما(الدال) الذي ُيمثل الصورة الصوتية، والمدلول بما هو عليه من فكرة أو مفهوم ذهني.

تمثل العلاماتية من وجهة نظر الفيلسوف الأميركي شارلز ساندروز بيرس 1839_ 1914،(7) إطاراً مرجعيًا ، يتضمن أية دراسة أخرى، حيث يؤكد بيرس أنه ليس بالإمكان

دراسة الرياضيات أو الأخلاق أو الكيمياء وعلم النفس والصوتيات والاقتصاد وتاريخ العلوم، على سبيل المثال، إلاّ بوصفها دراسة علاماتية، ولهذا جاءت أفكاره مستندة على أن العلامات تسمح لنا أن نفكر، وأن نتواصل مع الآخر، ثم نعطي معنى لما يقترحه الكون علينا، وحتى نمتلك تنوعاً كبيراً من العلامات الممكنة، وتكون العلامات اللسانية من بينها فئة مهمة، فقد أنشأ بيرس نظريته العلاماتية، مكرساً نفسه لعلم العلامات عموماً، وقد خصص مكاناً مهماً للعلامات اللسانية.

أما البلاغة، فإنها لا تقف عند حدود النص المكتوب، وفي معظم الحالات، تتضمن الصورة أحداثاً بلاغية تصل إلى فهم وقناعات المشاهد كما هو الحال عند الاستخدام النموذجي لمفردات اللغة. تجدر الإشارة هنا إلى أن الحكيم كونفوشيوس قال أنّ للصورة لغة عالمية يفهمها جميع الناس، وهذا مما يزيد في بلاغتها (6).

تستند الصورة من أجل إنتاج معانيها إلى معطيات يوفرها التمثيل البصري الذي يعتمد على المحاكاة الخاصة بالكائنات أو الأشياء، وهي مرتبطة بفكر الإنسان وميله التلقائي إلى منح الطبيعة أبعاداً دلالية، تتجاوز الأبعاد المادية، ولهذا فإن الألوان والأشكال تسهم عادة بإضافة المعنى الدلالي للصورة.

بين مبدأ السببية ونظرية الأنساق أو المنظومات، تبدأ مهمة البحث عن المعرفة، ومن المهم هنا القول: إن فكرة النسق تحديداً تعني، وجود مجموعة عناصر، تتوزع بين العنصر المركزي، والذي يُعرفّه أساتذة الفيزياء والفلسفة بالنواة أو بؤرة القطب الرئيسي، والعناصر الفرعية المتمثلة بالأطراف والحواف أو الأجزاء الملحقة.

يُجمع خبراء اللغة، على أننا نفهم من النص، أي النص المكتوب، أن يكون وثيقة مرجعية بمثابة قانون قيمي ومن شأنه تأدية وظيفة الذاكرة الجماعية وتوثيقها، ولهذا يتم عادة الربط بين فكرة النص ومخزون الذاكرة من زاوية علاقة النص باللغة، وبما أن اللغة تمثل المسكن المألوف، وتشكل الذاكرة التي تصون الهوية، فإنها لا تستقر في بنياتها الصرفية والنحوية والدلالية، إلاّ بوجود النص، ولهذا قيل أن اللغة التي يُكتبُ بها نص مركزي مرموق، تكون خالدة وتأخذ مكانتها بين اللغات الحية.

نبقى في إطار البحث المعرفي، ونشير إلى أن الحياة الاجتماعية ليست متجانسة في تركيبتها، وحسب وصف علماء الاجتماع، فهنالك نماذج من الوجود الاجتماعي التي يتم داخلها تفاعل نوعي بين الأشخاص المشكلين لمنظومة اجتماعية محددة، هنا يأتي الحديث عن القيمة باعتبارها شرطاً محدداً لبنية هذا النموذج أو ذاك، وعليه فإن الاختيار بين القيم هو الذي يؤدي بالأفراد والجماعات إلى أن يقرروا أن النموذج المفضل بالنسبة لهم أكثر ملائمة من غيره.

يؤدي السلوك المعرفي الذي يرتبط بمجتمع محدد إلى وجود منظومة ثقافية، تتأسس عادة على نظام قيم مركزي، ومن المؤكد أن هذه التكوينية النسقية تشكل بحد ذاتها " علامة رامزة " لانتماء، قد ُيدركه الفاعل المؤسس للنسق، ونحسب أن هذه العلامة تعتبر مكوناً مباشراً لوجود الدلالة والمعنى.

يبقى أن أية معرفة مهما كان حقلها، لا تستطيع الإحاطة بمقومات الكمال المطلق، ولن تستطيع أن تنفرد بأنظمتها الاستدلالية عن أي تعاط أو أدنى انفعال أو اتصال مع البيئة المحيطة أو العالم الخارجي، وهذا ما يستدعي أهمية الانفتاح بمفهومه الذي نحاول من خلاله الإفادة من الجوانب المضيئة في حقول العلم والمعرفة.

السيمائية والاستجابة المعرفية

تهتم السيمائية بالمعرفة بما هي عليه من ممارسات دالة، ولهذا ينشط علماء الاجتماع بالبحث في أهم الأطر الاجتماعية للمعرفة، ومن بين التعريفات الدارجة لمفهوم المعرفة أنها تشمل كل أنواع الإنتاج العقلي، ويستدل من القراءة المتأنية لجهود العديد من الباحثين أن هنالك من أرجع البنى المعرفية عامة والعمليات المنطقية على وجه التحديد إلى أصول اجتماعية تعود إلى بنية العقل الجمعي، ونظام القيم المركزي، والذي يتحدد تبعاً لنظم المؤسسة، التي ُيفترض أن تتألف في نسق أو منظومة متوازنة، تعيد إنتاج نفسها بلا انقطاع في سائر المخرجات الثقافية، ويكون في مقدمتها مجموعة الخطابات والنصوص المتداولة، ومن أهمها النص المعرفي، والمقصود بالنص المعرفي هو أنه نسق مفاهيمي وبالتحديد نظام علامات.

يمكن للعلامات أن تمثل الرموز المقالية المباشرة (المصطلحات المؤسسة وجملة المعجم الذي تستعمله معرفة أخرى)، كما يُمكن للعلامات أن تؤخذ ضمن مستوى استثنائي أكثر تجريداً ودقة، بحيث تكون المبادئ والمقولات المؤسسة ذاتها، أي بما هي عليه من مفاهيم أصولية تشمل الزمان والمكان والمادة والنفس، وموجبات السببية أو الضرورة.

يقول السيمائي الفرنسي " بيير جيرو " أنّ العلم والمعرفة هما نظام العالم الطبيعي ومعناه، ولأننا بصدد المقاربات المعرفية، فلا بد من تناول مفهوم المنطق، والذي يتبلور في مظهره النسقي، كونه يؤسس موضوعه، تبعاً لصورة محددة، وفكرته هي " القول "، وكان أرسطو قد فسر أن الصورة ضمن هذا الواقع، تعني البرهانية، بما ترتكز عليه من الطبيعة الاتصالية، لأنها تقوم على اعتبار أن النص المنطقي هو حقل علامات، تحيل على جملة دلالات، فكيف لنا أن نقرب العلاقة بين المنطق والبرهان؟

يُعّرف المنطق على أنه أحد أقسام الفلسفة، أي أنه العلم الذي يكون موضوعه تحديد ماهية العمليات العقلية الهادفة إلى معرفة الحقيقة، ومن الطبيعي أن تكون النتائج صحيحة

في العديد من الحالات، وعكس ذلك في حالات أخرى، ومن بين التعريفات التي تلتقي مع هذا المعنى، أن المنطق هو العلم الذي يدرس المبادئ العامة للفكر الصحيح، وهنالك من يضيف أن المنطق هو جزء من منهجية الاستدلال الذي يُسهم في عملية الاستنباط، وبدون التأثر بالآراء أو التخمينات، والمهم هو أن المنطق يرتكز على معرفة صدق الاستنباطات، تبعاً لصحة المقدمات، لأنه يهتم بالحقائق المنطقية وهذا ما يعطيه صفة البرهان.

أثناء عملية البحث عن المعرفة، يبرز جانب المكون الاعتقادي قبل التوصل إلى التيقن، ومن المعلوم أن هذا المفهوم يكتسب أهمية منهجية خاصة، والسبب هو أننا عندما نباشر بعملية الاستقصاء لشيء ما، فنحن نطرح بالنتيجة القضية السوسيومعرفية، وفي هذه الأثناء، يتم التساؤل عن القيمة الواقعية أو المصداقية لهذه الصيغة؛ بمعنى أدق، فإننا نبحث عن معايير الصحة التي تستند عليها، بعيداً عن الاستسلام لمبدأ الشك الذي ينشأ في ظل وجود الاعتقاد، آخذين بعين الاعتبار أنه لا يوجد نسق معرفي مغلق، بل أن كل الأنساق المعرفية مفتوحة نحو عالم المعرفة.

تتجلى محاولات البحث عن المعرفة، بأهمية الربط بين الإدراكات، ولا يُمكن أن يكون هناك ربط، إلاّ داخل السياق المقصود أو القضية المراد تحليلها سعياً للتوصل إلى استنتاج، يؤدي إلى التيقن بما نحن بصدد معرفته، والذي يقوم بهذا التوحيد هو الفكر (الفهم عند كنط (7))، ومن المعروف أنه ليس للفكر معنى غير التصور، والتصور بطبيعة الحال، يحتوي على تمثلات تستند في جوهرها على وجود صورة ذهنية بصفة قبلية، أي قبل الشروع بعملية الاتصال، وما ينطبق على التصورات، والتي تتمحور بين الزمان والمكان والأشخاص، يصدق على الأحكام التي تصاغ في القضايا، لتتشكل في المحصلة المعرفة المنشودة والمستندة على دقة التمحيص وثبوت البرهان.

بعد ذلك نقول، كيف يُمكن للممارسة المعرفية والعلمية على وجه التحديد أن تكون اختباريه ومنطقية ورياضية، وأن تستبطن في ذات الوقت أي مضمون اعتقادي، لم تكتمل البراهين حوله بعد؟

عند محاولة تفكيك الاستراتيجية العامة التي شكلها أرسطو في تبني الصورة البرهانية للموضوع القولي، نجد أنها تستقيم بالمفاضلة بين بدائل تكوينية مركزية أو فرعية، وهي مفاضلة تصدر عن قرارات منهاجيه، تحسم لصالح بديل على حساب بديل آخر، وبهذا يكون أرسطو قد عمل بموجب مجموعة من البدائل المتاحة، دافعاً بها إلى حدودها القصوى ... مبدعاً في صياغة مشروعه المعرفي المنطقي، وبالتطابق مع مجمل المقتضيات.

وإذا وقفنا على منحنى المقاربة السيمائية المعرفية الثقافية كعلامات دالة، فإننا نرى أن أهم تلك العلامات تؤشر على تصور الضرورة بما تقتضيه متطلبات الشروع بمهمة البحث والاستقصاء.

في عملية المقارنة بين الضرورة والكينونة، نلمس أن الضرورة تمثل الإطار الرؤيوي المرجعي، والذي ينبثق منه كامل النسق المنطقي والفسلفي، وتؤول إليه سائر أجزائه وترتيباته وعملياته، في حين أن الكينونة تأخذ معناها الجوهري من كونها نظام تعقل، يبدأ بالمقولة إلى أن يستخلص النتيجة المنشودة بما تطمح إليه من تحقيق للنظام المعرفي.

نعود إلى المنطق بما فيه من عناصر تبحث في الحدود بمراتبها، والقضايا بأنواعها، وبحكم أنه علم يُعنى بما ينشأ بين تلك العناصر من علامات (التناقض، اللزوم، الصدق) ونشير إلى أن تلك العناصر لا تكون جاهزة أو في متناول اليد، حتى يتم التقاطها، وأن هذه العلامات، لا تؤدي في ذاتها معنى محددا، لكن البحث المعرفي يسعى لإعادة إنتاج معانيها، وهذا من شأنه أن يُظهر لنا أهمية النوايا أو المقاصد في تحليل التوجهات، ومضامين الممارسة المعرفية في حقل المنطق بالذات.

يرى معظم الباحثين أنّ التأكيد على جانب النيات والمقاصد، إنما فيه استدعاء ومحاولة الاستعانة بالأشخاص أوالمرجعيات المعرفية، فلعل حضور هؤلاء إلى واجهة المباحثة والتحليل الذي يُسهم في تجنب التجريدات الفضفاضة، والتحصن بدلاً من ذلك في موقع نقدي مستبصر، لا يتورط في مسايرة المعرفة المنطقية.

عرفنا أن الواقع القولي، يهدف للتوصل إلى الصورة البرهانية، بما ترمي إليه من ممارسة معرفية ذات دوافع ثقافية مركبة، وأدركنا أن التحليل السيمائي المنظم ضمن هذا الواقع، يُثابر من أجل التوسع في الفحص النقدي للمكونات والأدوات المفهومية والمقالية التي يستند عليها منطق المعرفة، وهنالك العديد من الدراسات المهمة التي تناقش إطار القولية ل: بيك "8"، والتي تمثل التوليد الاستدلالي، وليست قواعد مجردة من اللغة، وبما أن القوالبية تعالج الوقائع اللسانية بوصفها نسقاً من الوظائف التراثية، فإنه لم يُنظر إلى الجملة على الإطلاق، إلاّ بوصفها تشخيصاً وسيطاً للاندماج الاستدلالي.

اللغة ونظرية الدلالة

نتفق أن اللغة هي نسق من العلامات التي تعبّرعن الأفكار، ومن خلال اللغة ينشط الفكر الإنساني في صياغة التصورات عن البيئتين المحيطة والخارجية، وبما أن الفكرة الأساسية لأي نص لغوي، تستند على الدلالة، فلا بد من توثيق أهم تعريفات الدلالة، والتي توصف بأنها" كيان (9)"،يُمكن أن يصبح محسوساً، ويُشير بذاته إلى أمر غائب، وهنا نتوقف عند الإيضاحات التالية:

أولاً: تفترض اللغة اللفظية وجود الدلالة بالمعنى المحدد، وبما أن موضوع التواصل اللساني، يرتبط في معظم الأوقاتً بالحقيقة اللسانية المفهومة من عوامل السياق الخارجية،

فإن مهمة المبادر بالحديث أو الخطاب، تستند على مبدأ قدرته لتعيين الأشياء التي تهدف لتكوين الحقيقة المراد التوصل إليها، وهذه هي الوظيفة المرجعية إلى اللغة.

ثانياً : اللغة هي كل إنتاج متسق لأنواع الرموز والدلالات التي تؤدي وظيفة حقيقية في كل الخطاب الإنساني ، وكان " دي سوسير(10)" قد أكد على أن جزء العلامة الذي يُمثل الجانب المحسوس يسمى " بالدال "، أما الجزء الغائب فهو المدلول، في حين أن العلاقة التي تربط بينهما تسمى بالدلالة.

ثالثاً: الدلالة ذات صيغة مؤسسية، بمعنى أنها لاتوجد إلا ّ في جماعة معينّة من المشتغلين بها أو المستعملين لها، أما نقطة الخلاف في نظرية الدلالة، فإنها تختص بطبيعة المدلول، وللمزيد من التوضيح، نقول أنه يتعين على من يُسلم بالدلالة، أن يقبل بوجود الاختلاف بين المحسوس وغير المحسوس.

رابعاً : تعتبر علاقة الدلالة مضادة للهوية ومناقضة لها، فهي حضور وغياب، والمهم في الأمر أن لفظ الدلالة يرمز إلى التنبيه أو الإشارة، على اعتبار أن الإشارة، تثير نوعاً من رد الفعل، وتفهم بحدود ما توحي إليه صيغة الجملة أو الخطاب الذي يُشكل معنى الإشارة.

خامساً: كان إيريك بويسانس، قد اقترح في كتابه " الألسنة والخطاب 1943 نموذجاً علاماتياً، يستلهم الفئات عند "سوسير"، مستنداً من جهة إلى اللسان الكلامي، ومن جهة أخرى إلى عدد الأنساق العلاماتية الأخرى، وقد شهدت الدراسات العلاماتية بعد الحرب العالمية الثانية، تطوراً كبيراً تم ذلك في ميادين مختلفة، ومع مناهج متنوعة، حيث تناولت " العلاماتية: السيمولوجيا، بوصفها " علم العلامات أو السيرورات التأويلية، مما أسهم بتحويل العلاماتية إلى نظرية، وعلم يصنف العلامات، وتحليل وقواعد وأنساق.

نتائج

تكمن أهمية السيمائية، بأنها تحرض على الوعي، وتحاول توثيق العلاقة بين الكلمة والحقيقة، ضمن معادلة التوظيف الأمثل ل " اللغة " من خلال أنساق المعنى الذي يولد جماليات التلقي.

في ظل هيمنة الدول الصناعية، والتي تحرص على امتلاك مفاتيح المعرفة التكنولوجية، حتى تبقى الدول النامية، في موضع الاستدراج، ومستوردة لثقافاتها، إلى جانب أنها مستهلكة لمنتجاتها، فإن سيمائية الصورة، وما يرافقها من خطاب إعلامي، لم تعد محايدة، بل تحمل أهدافاً، ولها غايات، باتت بأمسّ الحاجة لحالة تيقظ، وحذر من قبل كل المؤتمنين على حاضر هذه الأمة من أجل صون لغتهم ومستقبل أجيالهم.

كيف يكون بوسع المبدعين العرب، الاستعانة بجميع المناهج المعرفية والمنهجية المتوافرة في حقول السيمائية ؟ وماذا عن دور أهل الفكر والثقافة؟ وهل بوسع الثقافة العربية، بواقعها الحالي أن تنشط في حقول إنتاج المعرفة؟

إذا رغبنا بالإفادة من الدروس والعبر في شتى حقول العلم والمعرفة، فإنّ الحل الأمثل يكمن بضرورة التوافق على أننا بأمسّ الحاجة لممارسة حالة غير مسبوقة من الدفاع المرن عن " منظومة قيمنا المشرقة "، فقد اختلطت المفاهيم، ولنا أن نتأمل التحولات الاجتماعية البنيوية، والتي أطاحت بنسق " التكامل " الذي نفترض أنه يُقوّي البنيان، ويمد الجميع بالحركة الانسيابية نحو الإنتاج المعرفي، وجاءت بنسق آخر، نحسب أنه يسوق رغبة الإنسان للتمركز حول ذاته، بعد أن اختصر نفسه بمجموعة منافعه الشخصية، ومصالحه الضيقة، وهذا ما يشوش على مقومات الإبداع، الذي يضع اللغة ودلالاتها في خدمة الفكر حتى يكون السير في ركب التطور المعرفي.

الإحالات:

1. (قدور) عبدا لله ثاني، سيمائية الصورة، مغامرة سيمائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، الطبعة الاولى2008، دار الوراق للنشر والتوزيع.
2. بيير جير،: علم الإشارة: ترجمة منذر عياشي، دار طلاس للدراسات، دمشق 1988.
3. محمد قاري، سيمائية المعرفة المنطقية: منهج وتطبيقه، الطبعة الأولى 2002 مكتبة جامعة اليرموك.
4. عبدا لرحيم كامل، سيمولوجية الصورة الفوتوغرافية، مجلة علامات، العدد 16،2001
5. أبو أصبع(صالح خليل)، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار الآم للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 2004، عمان / الأردن.
6. المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث: ترجمة وتعليق عبد القادر قنيني / مكتبة جامعة جدارا / الأردن.
7. العلاماتية وعلم النص، الطبعة الأولى2004، إعداد وترجمة منذر عياشي : المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب.
8. مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية ، العدد 47، كتابات معاصرة: سيمائية الخطاب السردي : د. محمد بلوحي.
9. جان ماري سشايفر: عن القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان : جامعة البحرين ، ترجمة د: منذر عياشي:2003 : البحرين.
10. أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة ــ الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1985.